

الرَّسَالَةُ ٦٧

دُمُوعٌ مَّحْفُوظَةٌ

(Arabic - He recorded your tears on his scroll.)

أَحِبَّائِي.. حَدِيثُنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: دُمُوعٌ مَّحْفُوظَةٌ

وَمِنَ الْمَزْمُورِ السَّادِسِ وَالْخَمْسِينَ نَقْرَأُ الْجُزْءَ الثَّانِيَّ مِنَ الْعَدَدِ الثَّامِنِ:

"اجْعَلْ أُنْتَ دُمُوعِي فِي زِقِّكَ.. أَمَا هِيَ فِي سِفْرِكَ؟!"^١

إِن دَاوُدَ النَّبِيَّ فِي مَزْمُورِهِ السَّادِسِ وَالْخَمْسِينَ يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَ دُمُوعَهُ فِي زِقِّهِ.. إِنَّهُ يَعْلَمُ بَلْ هُوَ يُؤَكِّدُ وَاتِّقًا: "أَمَا هِيَ فِي سِفْرِكَ؟!".. فداود النبي يرى دُمُوعَهُ أَنَّهَا لَيْسَتْ قَطْرَاتِ مَاءٍ وَحَسَبَ!.. بَلْ أَثْمُنُ وَأَقِيمُ عِنْدَ اللَّهِ.. إِنَّهَا مَدُونَةٌ فِي سِفْرِهِ.. وَكَلِمَةُ اللَّهِ تَعْلُنُ أَنْ فِي السَّمَاءِ سَجَلَاتٌ.. وَفِي دَارِ الْمَحْفُوظَاتِ السَّمَائِيَّةِ تَحْفَظُ تِلْكَ السَّجَلَاتُ إِلَى حِينٍ مُعَيَّنٍ يُسْتَعَانُ بِهَا بِالرُّجُوعِ إِلَيْهَا فِي حِينِهِ.. وَضِمْنَ تِلْكَ الْأَسْفَارِ سِفْرٌ خَاصٌّ بِالدُّمُوعِ.. وَحَدِيثُنَا الْيَوْمَ عَنِ الْأَسْفَارِ الْمَحْفُوظَةِ فِي السَّمَاءِ.. وَعَنْ الدُّمُوعِ بِأَنْوَاعِهَا الْمُخْتَلِفَةِ الْمَحْفُوظَةِ فِي سَجَلَاتِ.. وَالْمَقْرُونَةِ بِأَسْمَاءِ مَنْ ذَرَفَهَا.. وَبِالرُّجُوعِ إِلَى الْمَزْمُورِ التَّاسِعِ وَالثَّلَاثِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ بَدءِ تَكْوِينِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ تَوَجَّدَ لَهُ بَيِّنَاتٌ خَاصَّةٌ مُسَجَّلَةٌ فِي سَجَلٍ عِنْدَ خَالِقِهِ.. فداود النبي يقول: "نَسَجْتَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي.. أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَيِّ امْتَرَزْتَ عَجَبًا!.. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذَلِكَ يَقِينًا.. لَمْ تَخْتَفِ عَنكَ عِظَامِي حِينَمَا صُنِعْتُ فِي الْخَفَاءِ وَرُفِعْتُ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ.. رَأَيْتُ عَيْنَاكَ أَعْضَائِي وَفِي سِفْرِكَ كُلَّهَا كَتَيْتَ يَوْمَ تَصَوَّرْتَ إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا"^٢

فَمَاذَا نَقُولُ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُجْهَضُونَ مَا خَلَقَ اللَّهُ؟!.. يُؤَسَفُنَا أَنْ نَقُولَ أَنْ بَعْضَ الْأَمَّهَاتِ يَقْتُلْنَ الْأَجِنَّةَ الْبَرِيئَةَ بِعَمَلِيَّاتِ الْإِجْهَاضِ لِأَنَّهُنَّ لَا يَرِغِبْنَ فِي حَضَانَةِ أَطْفَالِهِنَّ فِي أَحْسَائِهِنَّ.. وَيَرْفُضْنَ دَوْرَ الْأُمُومَةِ الَّتِي خَلَقَهُنَّ اللَّهُ مِنْ أَجْلِهِ.. إِنْ اللَّهُ سَاهَرٌ لِإِنْصَافِ الْأَبْرِيَاءِ لَا يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ عَنْ جَرِيمَةِ الْقَتْلِ تِلْكَ وَإِنْ ادَّعَوْا لَهَا الْمُبَرَّرَاتِ.. فَهُوَ الَّذِي يَرَى مَا لَا يَرَى وَيُسْجَلُ فِي السَّفَرِ عَيْنَيْهِ فِي صَفْحَةِ ذَلِكَ الْبَرِيِّ الَّذِي أَنْهَتْ أُمُّهُ حَيَاتَهُ قَبْلَ أَنْ يَرَى النُّورَ: إِنَّ هَذَا الْبَرِيءُ قَتَلْتَهُ أُمُّهُ وَدَمُهُ يُطَلَّبُ مِنْهَا وَمِنَ الَّذِينَ أَعَانُوهَا عَلَى قَتْلِهِ.. يُسْجَلُ يُوْحِنَّا اللَّاهُوتِي فِي رُؤْيَاهُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ: "وَأَفْتَحْتُ أَسْفَارًا وَانْفَتَحَ سَفْرٌ آخَرٌ هُوَ سَفْرُ الْحَيَاةِ وَدِينِ الْأَمْوَاتِ فِيمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ"^٣

أَمَا سَفْرُ الْحَيَاةِ الَّذِي يَشِيرُ إِلَيْهِ يُوْحِنَّا فِي رُؤْيَاهُ فَهُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الرَّبُّ يَسُوعُ حِينَ قَالَ لِتَلَامِيذِهِ: "لَا تَقْرَحُوا بِهَذَا أَنْ الْأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ بَلْ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنْ أَسْمَاعُكُمْ كَتَبَتْ فِي السَّمَوَاتِ".. أَمَا عَنِ الْأَشْرَارِ فَقَدْ سَبَقَ وَأَشَارَ إِلَيْهِمْ يُوْحِنَّا الرَّائِي فِي الْأَصْحَاحِ السَّابِعِ عَشَرَ قَائِلًا: "وَيَتَعَجَّبُ السَّاكِنُونَ عَلَى الْأَرْضِ الَّذِينَ لَيْسَتْ أَسْمَاؤُهُمْ مَكْتُوبَةٌ فِي سَفَرِ الْحَيَاةِ".. وَيَقُولُ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي إِحْدَى رِسَالَتِهِ: "أَسْأَلُكَ أَنْتَ أَيْضًا يَا شَرِيكِي الْمَخْلُصَ سَاعِدَ هَاتَيْنِ اللَّئِيمَتَيْنِ جَاهِدْتَا مَعِي فِي الْإِنْجِيلِ وَبَاقِي الْعَامِلِينَ مَعِي الَّذِينَ أَسْمَاؤُهُمْ فِي سَفَرِ الْحَيَاةِ"^٤

قَدْ يُعَانِي الْمُؤْمِنُ مِنْ آلامِ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ وَلَكِنْ مَا يُعَانِيهِ هُنَا "لَا يُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِي كُلِّ مَنْ لَهُ اسْمٌ فِي سَفَرِ الْحَيَاةِ".. فَفِي السَّمَاءِ لَا أَحْزَانٌ وَلَا آلامٌ وَلَا مُعَانَاةٌ وَلَا دُمُوعٌ بَلْ أَفْرَاحٌ وَسُرُورٌ دَائِمٌ يَفُوقُ كُلَّ فِكْرٍ أَوْ تَصَوُّرٍ.. أَلَا يَجْدُرُ بِنَا كَمُؤْمِنِينَ أَنْ نَقُولَ فِي شَوْقٍ وَحَيْنٍ: "أَمِينَ تَعَالَى أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ!".. إِنَّ الدُّمُوعَ أَدَاةَ خَلَقَهَا اللَّهُ فِينَا لِلتَّعْبِيرِ عَنِ أَحَاسِينَا الدَّاخِلِيَّةِ وَهِيَ عِلَاجٌ لِلنَّفْسِ فِي وَفْتِ اشْتِدَادِ الْأَرْمَاتِ.. لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ لَنَا اللِّسَانَ كِي نَعْبِرَ بِالكَلِمَاتِ وَالدُّمُوعِ وَسَيْلَتِنَا لِلتَّعْبِيرِ كَذَلِكَ وَاللَّهُ يَحْفَظُهَا فِي زِقِّ عِنْدِهِ.. وَمَدُونَةٌ فِي سَفَرِ مَنْ أَسْفَارُ دَارِ

استمع إلى الإنجيل

^١ سفر المزمور ٥٦: ٨

^٢ سفر المزمور ١٣٩: ١٣ - ١٦

^٣ سفر يوحنا اللاهوتي ٢٠: ١٢

^٤ إنجيل لوقا ١٠: ٢٠ ، سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٧: ٨ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ٤: ٣

^٥ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٨: ١٨ ، سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢١: ١ - ٤ & ٢٢: ٢٠

المحفوظات السمائية.. ولا غنى للإنسان عن التعبير عن نفسه في كل الظروف خلوها ومُرّها.. ففي ذلك راحتُه حتى مجيء الرب يسوع.. وستحدث بنعمة الله وإرشاد رُوحه القدوس عن خمسة أنواع من الدُموع:

أولاً: دُموع التوبة.. لقد عبرَ داود النبي في مزموره السادس عن ندمه وهو يذرف دُموع توبته إذ كتبَ يقول: "تعبتُ في تنهدي.. أعومُ في كل ليلةٍ سريري بدموعي.. أدوبُ فراشي!".. وفي مزموره الثاني والثلاثين كتبَ يقول: "لما سكتُ بليت عظامي من زفيرى اليوم كله.. أترف لك بخطيتي ولا أكنم إثمى.. قلتُ اعترف للربِّ بذنبي وأنت رفعت أثم خطيتي.. لهذا يُصلى لك كل تقى في وقت جدك فيه".. ويحدثنا لوقا البشير بالأصحاح السابع أن رجلاً فرسيًا اسمه سمعان دعا الرب يسوع ليأكل معه وجاءت امرأة خاطئة بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من وراءه باكياً وابتدأت تبذل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب فقال لها يسوع: مغفورة لك خطاياك إيمانك قد خلصك اذهبي بسلام^١.

ثانياً: دُموع التضرع إلى الله لطلب الشفاء من مرض مثلاً.. فحين مرض حزقياء الملك صلى إلى الله وتضرع بدموع طالبا الشفاء.. فقال الرب لإشعيا النبي: "ارجع وقل لحزقياء رئيس شعبي هكذا قال الرب اله داود أباك قد سمعت صلواتك.. قد رأيت دموعك.. هانذا أشفيك". ويسجل إنجيل لوقا أنه حين مضوا بالرب يسوع للصلب تبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتي كن يطمئن أيضاً ويحنن عليه فقال لهن: "يا بنات أورشليم لا تبتكين على بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن".. ليتنا نبكى على أنفسنا ليرحمنا الرب إن كنا لم نتمنع بعد بخلاصه ونبكى على أولادنا إن كانوا مكدوعين بحيل إبليس مستعبدين للخطية ليمتعهم الرب بتحريره.. إن الرب يستجيب لدُموع المتضرعين إليه ويشملهم بنعمته ويملا قلوبهم سلاماً وفرحاً بتسجيل أسمائهم في سفر الحياة^٢.

ثالثاً: دُموع التعزية ومشاركة الآخرين في الألم وأحزانهم.. فالرسول بولس يقول: "فرحاً مع الفرحين وبكاء مع الباكين".. ولقد "بكى يسوع" عند قبر لعازر قبل إقامته من الأموات.. وكان اليهود هناك يبكون عليه مع أخته فقالوا: "انظروا كيف كان يحبه!".. وبولس الرسول في رسالته إلى مؤمنى كورنثوس يقول: "كتبت إليكم بدموع كثيرة لا لكي تحزنوا بل لكي تعرفوا المحبة التي عندنا ولا سيما من نحوكم"^٣.

رابعاً: دُموع الجهاد الروحي.. وخير مثل هو الرب يسوع عند جبل الزيتون.. فلقد كتب لوقا البشير هذه الكلمات عن الرب يسوع: "وإذ كان في جهاد كان يُصلى بأشد حاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض".. ووصف كاتب الرسالة إلى العبرانيين ذلك المشهد بقوله عن الرب: "الذى في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه"^٤.

خامساً: دُموع المظلومين.. يقول كاتب سفر الجامعة: "ثم رجعتُ ورأيتُ كل المظالم التي تجرى تحت الشمس فهكذا دُموع المظلومين ولا معز لهم".. ولكن كلمة الله تعلن أن "الدُموع المظلومين محفوظة في زق وفي سفر مكتوبة تنتظر العدل الإلهي في اليوم الأخير". يقول يوحنا الرائي: "وسيمسح الله كل دمع من عبوئهم".. ويقول إشعيا في سفره: "ويمسح السيّد الربّ الدُموع عن كل الوجوه".. أما من ظلموهم فيطرحون في الجحيم المعد لإبليس وملأكتيه وهناك يكون البكاء وصري الأستان ويصعد دخان عذابهم إلى أبد الأبد^٥.

أدعوك عزيزي القارئ لتشارك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. يا من نسجتني في بطن أمي وأعضائي في سفرك كلها كتبت يوم تصورت.. إذ لم يكن واحدٌ منها.. أضع حياتي كلها بين يديك لتستلمها.. لسنت أخشى آلام الزمان الحاضر.. لأنك لن تتركني فأنت حافظي من الشر.. دُموعي في زق تحفظها وفي سفر تذكرها.. أرفع صلواتي في اسم يسوع البار.. متكلاً على وعدك الصادق يا من قلت: من يقبل إلى لا أخرجه خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر المزمير ٦: ٦ & ٣٢: ٣ - ٦ ، إنجيل لوقا ٧: ٣٨
^٢ سفر الملوك الثاني ٢٠: ٥ ، إنجيل لوقا ٢٣: ٢٨
^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ١: ١٥ ، إنجيل يوحنا ١١: ٣٥ - ٣٧ ، رسالة بولس الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٢: ٤
^٤ إنجيل لوقا ٢٢: ٤٤ ، الرسالة إلى العبرانيين ٥: ٧
^٥ سفر الجامعة ٤: ١ ، سفر إشعيا ٢٥: ٨